المفاهيم والقيم اللازمة للتنشئة البيئية

١ ـ المفهوم التنموي للخلافة (إدارة الموارد):

قال تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ «البقرة، ٣٠».

«. . . وإذاً فقد وهب هذا الكائن الجديد من الطاقة الكامنة والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى، وطاقات، وكنوز، وخامات»، «وإذاً فهناك وحدة أو تناسق بين النواميس التي تحكم الأرض، وتحكم الكون كله، والنواميس التي تحكم هذا المخلوق وطاقاته كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك، وكي لا تتحطم طاقة الإنسان على صخرة الكون الضخمة» (٣: المجلد الأول، الجزء الأول: ٦٥).

فالإنسان «يظل مهما تنوعت وتعددت منطلقات ووسائل وغايات الممارسات التنموية واقفاً في مركز الدائرة بحسبان ما أودع الله فيه من خصائص، ومؤهلات وصلاحيات خلافته على الأرض، هذه الخلافة التي تتسع للتسيير والإدارة الرشيدة المتزنة لكل الموارد، والطاقات أو الثروات الكامنة والمتاحة في البيئة المحيطة به» «فإن الإعلان الإلهي بإختيار خليفة مكلف بإدارة شؤون أمور الأرض، على مقتضى السنن والنواميس الحاكمة (قوانين النظام البيئي) التي تتيح للبشرية التوظيف الأمثل لشتيت

الإمكانات التي تحويها الأرض لتعزيز البقاء، والنمو الإنساني الذي يعد حجر الزاوية في عمارة الأرض، وعمران الأمصار»، «وعبارة (في الأرض) التي جاءت بمثابة لائحة تنفيذية لبيان مدى وطبيعة مهام الخلافة، فهي تفيد انغماس الإنسان وانهماكه في المهام والهموم الأرضية على نحو يستغرق وسع الإنسان، وطاقاته، لأن عمارة الأرض جزء من عمارة الكون؛ والتنمية، والعمران، صنوان ينطلقان منذ بداية واحدة، ويسعيان إلى غايات مشتركة» (٤ : ١٣).

والوعي بالأبعاد التنموية السابق ذكرها يحقق النتائج الإيجابية الآتية:

- الوعي بالموارد الدائمة، والمتجددة، وبالموارد غير المتجددة.

- إعادة التوازن للأنظمة البيئية، لإحداث التناسق بين النواميس التي تحكم الإنسان وتلك التي تحكم الأرض، ويأتي هذا عن طريق تبادلية العلاقة بين صور الحياة المختلفة والحفاظ على تنوع وتعقيد مكونات الأنظمة البيئية، وترشيد استغلال الموارد الناضبة، وتوظيف الاستعدادات المعرفية والقدرات التكنولوجية لخلق الموارد الجديدة.

- توظيف التميز الإنساني، لترسيخ النسق القيمي الإسلامي في التعامل مع المكونات الحية وغير الحية للأنظمة البيئية المحيطة بالإنسان، وليس قهر الإنسان لما حوله، فالكل له مكانه، والكل له دوره وأهميته، فالتميز تميز إصلاح، لا تميز إفساد ودمار وتلويث.

- إدماج الاعتبارات البيئية في النشاط التنموي، لأن كلّ منهما يؤثر على الآخر ويتأثر به، وهو ما يستدعي السياسة والتخطيط والإدارة التنموية - البيئية الرشيدة..

٢ ـ مفهوم التعمير في الأرض:

قال تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿**يا قوم اعبدوا ربكم مالكم من إلـه غيـره هو أنشأكم (من) الأرض واستعمركم (فيها)، فاستغفروه ثم توبوا إليه، إن ربي قريب مجيب**﴾ «هود، ٦١».

«.. وذكرهم صالح بنشأتهم من الأرض، ونشأة أفرادهم، من غذاء الأرض أو من عناصرها التي تتألف منها عناصر تكوينهم الجسدي، ومع أنهم من هذه الأرض، استخلفهم بجنسهم، واستخلفهم بأشخاصهم بعد الذاهبين من قبلهم» «٣: المجلد الثاني، الجزء الثاني عشر: ١٩٠٧).

«ولعل في (من) و(في) ينكشف الغطاء عن طبيعة وحقيقة العلاقات الأفقية، والعمودية، التي تتماهى في الإفساد، في العلاقة العضوية بالأرض التي تشير إليها (من) التي ستكون هي الدافع المحرك الذي سيقود الإنسان إلى ضرورة العمران (فيها)، لأن (وحدة الكيان) هي التي تؤكد (وحدة الكينونة)». (٤: ١٣).

«والإسلام طلب من أتباعه تجويد علوم الدنيا لأمور ثلاثة:

١ ـ أن تعمير الأرض جزء من رسالة الإنسان على ظهرها، وجزء من العبادة التي خلق من أجلها، وجزء من الكدح الذي يصون به نفسه، وأهله وشرفه.

٢ ـ أن الله لم يخلق الإنسان ليشقى، ويجوع، ويعرى، بل خلقه مكرماً، يحمله في البر والبحر، وأحل له الطيبات ويسر له الزينة والجمال، بما فوقه من نجوم، وبما بين يديه من زرع وضرع.

٣ ـ التفوق المدني والحضاري، فهو وسيلة الجهاد المكتوب على المؤمنين لحماية الدين. (٧ : ٧٦)، ولنا أن نسأل هذا السؤال: ما الأسرار البيئية التي تكمن في تأكيد القرآن على نشأة الإنسان من عناصر الأرض، ثم ربط هذا الانتماء الأرضي بالتعمير في الأرض؟

لن نتسرع في الإجابة قبل أن نتصفح معالم النظرة الجديدة إلى العالم في ظل الاهتمامات البيئية العالمية «وتعمل هذه النظرة الجديدة إلى العالم على خلق احترام الأرض، والهواء، والماء، وجميع الكائنات الحية، التي هي جزء من الكائن العالمي» (١٠ : ٥٨). ـ ألا تدعونا نشأتنا من عناصر الأرض إلى احترام أصل هذه العناصر، وهذه العناصر هي التربة، والماء، والهواء،

ـ وكيف يكون الاحترام للأرض وأحيائها وهوائها، إن لم يتمثل في رعاية تربتها وصحاريها وتنوع وبقاء أحيائها، وسلامة أغلفتها ونقاء هوائها، وتوازن أنظمتها وإذا كان الإنسان وكل دواب الأرض قد خلق من الماء فكيف لا تصان مياه المحيطات، والأنهار، والآبار من ملوثات الصناعات، والنفايات السامة وعوادم وسائل النقل.

ـ وإذا كانت الأرض تمون أبناءها بما يسد حاجاتهم، فلم يتجه سلوكهم إلى سد جشعهم ونهمهم، ألا يستحق الأمر انحسار التبذير، ووقف الإسراف، وإيقاف جموح الرغبات؟

ـ وعندما يخلق الله موارد الأرض دوارة، متجددة، فلم توقف عجلة التدوير والتجديد تارة بالاعتداء على سنة التوازن البيئية، وتارة أخرى

بجمـود حركـة العلم والتكنولوجيا التي تأتي ببدائل الموارد والطاقة. إن مفهوم التعمير في أرضنا يمكنه أن تنبثق عنه نشاطات بيئية شتى:

ـ استزراع الأفرقة الخضراء للمدن.

ـ زراعة النباتات التي تمتص الغازات الملوثة للجو وذلك كالبرسيم الحجازي. (٩: ١٥).

ـ إقامة الحدائق والمتنزهات وصيانتها.

ـ المحافظة على الغابات الاستوائية، حفاظاً على أحيائها وصيانة لترابها.

ـ مكافحة التصحر عبر التوسع في إنماء الغابات والأراضي الزراعية وإقـامة الكثبان الرملية في السهول المتموجة عند بوابة حدوث التصحر وإحلال الحياة الرعوية، وتنمية النباتات العلفية وإقامة المزارع في السهول المتمـوجة وإنماء الأغراس المتنوعة من أشجار وشجيرات ونبات عشبي وبنـاء شبكـة مرجية واقية في الأراضي الـرملية المتحركة وتنمية الجدار النبـاتي الـواقي وإنمـاء المدخرات المنمية كالماء والمخصبات والتنوع الغرسي (١٠: ١٤٤).

ـ وارجاع العلاقة الحانية مع أمنا الأرض التي تتصحر عبر:

عدم المغـالاة في زراعـة المحـاصيل بالحـد من الـرعي الجـائر، والتحطيب المفرط، وحراثة الأرض الضعيفة، والعمل على رش الكثبان الرملية بالفضلات المختلفة من إنتاج البترول ثم زراعة النباتات المقاومة للجفـاف عليهـا، وتنفيذ مشاريع الغابات وتشجير الرمال وتثبيتها وإقامة السدود الترابية والحجرية، وإقامة مصدات الرياح، ومنع تملح التربة.

(١٠ : ١١٢ ـ ١١٤).

ـ ومن التعمير للأرض، السياسة السكانية التي توقف هجرة الناس للأرض وتكالبهم على المدن، التي لا تغنيهم من معيلتهم الأولى، وهو ما يستدعي التوازن بين التنمية الريفية والتنمية الحضرية، فثمة ما يقدر بحوالي ٣٠ ـ ٥٠٪ من سكان المدن العربية يعيشون في مساكن دون المستوى المعتدل وفي أحياء فقيرة يتزايد اكتظاظها، وفي هذه المدن المكتظة تنحسر موارد المياه وتتلوث وتتفاقم مشكلات الصرف الصحي، وتنتشر المستنقعات، فتنمو الحشرات والجراثيم المسببة للأمراض، ويعجز السكان عن الحصول على الأعمال، وتنقص الموارد الغذائية، وهو ما يهدد بالتوتر الاجتماعي (١٠ : ١١٥ ـ ١٢٠).

وهكذا نجد أنفسنا أمام مجموعة من الاتجاهات التعميرية:

ـ التشجير.

ـ التوسع في الرقعة الزراعية.

ـ المحافظة على الغابات والواحات الخضراء.

ـ مكافحة التصحر.

ـ الاتجاه العلمي ـ التكنولوجي لخلق تقنيات جديدة تستهدف الحصول على بدائل للموارد غير المتجددة، وبدائل للطاقات الملوثة كالطاقة الشمسية، والطاقة الحرارية، وطاقة المد، وطاقة الجزر.

ـ وإذا كان القرآن الكريم قد أوجب تعمير الأرض كلها، فإنه بذلك يخلق لدى المسلم اتجاهاً عالمياً لرعاية البيئة على مستوى الأرض كلها.

٣ ـ مفهوم التوازن:

إن موازين البيئة الطبيعية وقوانينها تتمثل في قوله تعالى: ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديراً**﴾ «الفرقان: ٢»، وفي قوله ﴿**وأنبتنا فيها من كل شيء موزون**﴾ «الحجر: ٨٩»، وقال تعالى: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز**﴾ «الحديد: ٢٥».

لكن «الإنسان مشكلة البيئة فعلاً فهو لم يترك نظاماً بيئياً دون أن يقتحم معاقله، بل لم يترك مكوناً من مكونات البيئة دون تعديل وتغيير»، «لقد تدخل الإنسان بكل ما أوتي من قدرات بيولوجية فذة بالنواميس والقوانين الطبيعية التي تحكم العلاقات والتفاعلات والدورات في الأنظمة البيئية، مؤذياً بذلك قدرتها على التجدد والاستمرار والتوازن. . البيئة تشكو وتتألم من صنوف الأذى التي تلحق بها من تصرفات الإنسان وممارساته» (٢: ١٩٧).

ويؤدي مفهوم التوازن إلى تبني اتجاهات تربوية عديدة تجاه الأنظمة البيئيه والموارد ومنها:

ـ خفض استعمال الموارد، بدلاً من استنزافها، وهي موارد قد خلقها الله تعالى للإنسان ولسائر الكائنات المسخرة له.

ـ مكافحة أسباب تلوث الماء والهواء التي خلقت ظروفاً غير مناسبة للكثير من الكائنات، مما أدى إلى قتل الأسماك والطيور والزواحف والكائنات المائية.

- تعزيز التوازن النوعي الذي اختل بسبب تبسيط النظم البيئية (زراعة المحصول الأحادي).

- صيانة الدورات البيوكيميائية (دورة الماء، الدورات الغازية، الدورات الرسوبية) «فالرحلة الدائرية المستمرة للمواد والتي يدفع ثمنها برحلة الطاقة وحيدة الاتجاه هي التي تمكن النظام البيئي من الاستمرار في أداء وظائفه» ويعتمد بقاء العالم الحي على انتقال الطاقة ودورات المواد خلال النظام البيئي. (١٠: ٤٠ - ٤١).

وهذا يتطلب التخلي عن الممارسات السلبية إزاء هذه الدورات مثل طرح النفايات، وحرق الوقود الحفري، وإطلاق الغازات الكبريتية من المصانع وما تسببه من أمطار حمضية، وتسريب المواد المنظفة لمياه الأنهار والسيول (١٠: ٣٨ - ٥٥).

٤ - مفهوم تميز الإنسان غير المفسد للبيئة:

الإنسان في الإسلام كائن متميز مكرم، مفضل على كثير ممن خلق ربه تفضيلاً، سخر له الله ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما، ولكن آلية العلاقة بين الإنسان المتميز وبين سائر المخلوقات والأشياء قد خرجت عن مراد الله سبحانه وتعالى، ومراده أن تكون وظيفته بانية معمرة لما في الكون من أنظمة بيئية وهو ما يستشف من قول الله تعالى: ﴿**وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد**﴾ «البقرة: ٢٠٥»، فالإفساد للبيئة يحدث عندما ينفك رباط

العبودية لله تعالى، وعندئذ ينسلخ الإنسان عن هداية الله، فيضل ويشقى، ويخاف ويحزن، وهي سلوكيات تحول حركته إلى تميز غير ممتزج بالعبودية جعل حماة البيئة يتبرمون من سلوكه المفسد «والإنسان بمكانته المتميزة في البيئة أحدث ولا زال يحدث مشكلات في البيئة حتى أصبح يصدق عليه القول بأنه مشكلة البيئة» (٨: ٢٩٨).

وهذا السلوك الذي تخوفت منه الملائكة: **﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾** «البقرة: ٣٠» فالمكانة المتميزة لا تعني بحال أن يتمرد الإنسان على أساسيات ومضامين التعامل المتوازن مع الكون وهي أساسيات تبدأ بمعرفته بالأنظمة البيئية، وهي معرفة نامية، متجددة، نلحظها في قول الله تعالى **﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾** «البقرة: ٣١»، وعندما تجتمع المعرفة مع المضامين القيمية والثقافية، والجمالية والتشريعية الضابطة لحركتها المتناسقة مع الكون، يسير الإنسان في خط (التعايش مع البيئة)، و(الرعاية للبيئة) و(الحفاظ على البيئة)، وهو بهذا السلوك ينأى عن الإفساد، وإهلاك الحرث والنسل، ويقترب من مراد الله في تعمير الأرض **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾** «هود: ٦» والوعي البيئي، والخلق البيئي المتسقان مع الدور التعميري للأرض يقودان «إلى الاعتراف بأن الإنسان جزء من الأنظمة البيئية، له ما لها وعليه ما عليها، مما يجعله يأخذ في الاعتبار الفائدة المتبادلة بينه وبين البيئة، وهذا ما يعرف بالتعايش مع البيئة» (٨: ٣٠٠).

٥ ـ مفهوم وحدة الأصل الإنساني:

ـ قال تعالى: ﴿**خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها..**﴾ «الزمر: ٦».

ـ وقال رسول الله ﷺ: «كلكم لآدم..».

وهذا المفهوم يعزز المسؤولية العالمية، والتعاون الدولي في التصدي للمشكلات البيئية، ويخلق مناخاً تكافلياً بين شعوب الأسرة الدولية، وهو ما يوجب إسهام الدول الغنية (دول الشمال) في التنمية الموصولة للدول النامية (دول الجنوب) سواء أكان ذلك تعويضاً عن فترة الاستعمار أو حلاً لمشكلات البيئة المتفاقمة؛ التي لا تقوى على معالجتها الدول النامية فرادى نظراً لحاجتها المزدوجة إلى سد حاجات المجتمع وإلى حماية البيئة.

٦ ـ مفهوم التعارف الإنساني:

«يجب أن يكون التعاون أساس الاجتماع الإنساني، ولذا قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ «الحجرات: ١٣». فأساس العلاقات الدولية هو (التعارف) ومع التعارف يكون التعاون على الخير».

«ولقد نفذ النبي ﷺ مبدأ الاتحاد الدولي عندما هاجر إلى المدينة، فقد عقد كما أشرنا مع اليهود الذين كانوا يجاورونه عهداً كان أساسه «التعاون» بينهم وبين المسلمين في دفع الأعداء، وإقامة الحق أو ما يسمى في عرف العصر (التعايش السلمي)، ولكنهم نقضوا عهودهم التي

عاهدوا النبي ﷺ عليها فنالوا مغبة ذلك بما أنزل الله بهم من عقاب على يد النبي ﷺ وأصحابه».

ومن آليات التعاون في الإسلام التشريع المالي لسداد المديونية «إن الإسلام بلغ حداً من التعاون في الجماعة لم تبلغه شريعة من قبله ولا من بعده، لقد جعل التعاون في أداء الديون واجباً، وجعل ذلك مصرفاً من مصارف الزكاة. لقد جعل من هذه المصارف سداد الديون عن المدينين الذين عجزوا عن وفاء ديون اقترضوها في غير إسراف ولا سفه»، «وإنه ليروى في ذلك أن عامل الصدقات بأفريقية شكا إلى عمر بن عبدالعزيز أنه لا يجد فقيراً يعطيه الصدقات، وبيت مال الصدقات مملوء، فكتب إليه سدد الدين عن المدينين، فسدد ثم شكا إليه أنه في بيت مال الصدقات فضلاً فكتب إليه اشتر رقاباً وأعتقها». (٦: ٤٥ - ٤٦).

وهذا المفهوم يقتضي أن تتربى الشعوب الإنسانية قاطبة على التكافل البيئي، والتضامن البيئي، لحل مشكلات البيئة، وحمايتها وتطويرها: «ومن غايات التربية البيئية تكوين وعي واضح بالتكامل البيئي في عالمنا المعاصر، حيث أنه يمكن أن تترتب على القرارات التي تتخذها البلاد المختلفة وعلى مناهج سلوكها آثار على النطاق الدولي، وثمة دور بالغ الأهمية للتربية البيئية من هذه الناحية، يتمثل في تنمية روح المسؤولية والتضامن بين بلاد العالم، بصرف النظر عن مستوى تقدم كل منها لتكون أساساً لنظام يكفل حماية البيئة البشرية، وتطويرها وتحسينها» (٢: ٣٠٦).

وهذا المفهوم يقتضي أيضاً عدم النظر إلى مشكلات البيئة من زاوية

حدودية لا تتعدى نطاق سيادة الدولة، فالتلوث قد أصبح يعبر حدود الدولة إلى الدول الأخرى مما حدا بالأسرة الدولية إلى الأخذ بالمسؤولية الجماعية؛ «ينص المبدأ (١٩) من اتفاقية إعلان (ريو) ١٩٩٢م، على أن تقدم الدول إخطاراً مسبقاً، وفي حينه، ومعلومات ذات صلة إلى الدول التي يحتمل أن تتأثر وذلك بشأن الأنشطة التي قد تخلف أثراً بيئياً سلبياً كبيراً عبر الحدود، وتتشاور مع تلك الدول في مرحلة مبكرة وبحسن نية» (٨: السياسة الدولية، وثيقة إعلان ريو بشأن البيئة والتنمية: ١٥٤).

وإن النظام الخاص للمسؤولية الدولية فيما يتصل بحماية البيئة إنما يتأسس على فكرة رئيسة مؤداها أن البيئة ومشكلاتها لم تعد أمراً داخلياً محضاً أو خالصاً، وإنما هي تجسيد حي لمفهوم التراث المشترك للإنسانية الذي وجد تطبيقه في إطار اتفاقية الأمم المتحدة الأخيرة لقانون البحار لعام ١٩٨٢م» (٨: ١٤١).

ويدعو المبدأ (٥) من اتفاقية (ريو) إلى التعاون الدولي لاستئصال شأفة الفقر كشرط للتنمية المستديمة. (٨: ١٥٣)، ويدعو المبدأ (١٨) إلى التعاون الدولي في مجابهة الكوارث الطبيعية والأضرار المفاجئة المترتبة عليها في أية دولة (٨: ١٥٤).

ويدعو المبدأ رقم (٧) إلى «المسؤولية المشتركة بين جميع الدول إزاء التنمية المستديمة، والتدهور البيئي العالمي، ولكن مع ترتيب مسؤولية أكبر على كاهل الدول الغنية نظراً لاستئثارها بالموارد المالية والتكنولوجيا.» (٨: ١٥٣).

٧ ـ مفهوم التسخير للنعم:

هناك عشرات الآيات التي تناولت تسخير الله للإنسان «الخليفة» كل ما في الكون من مخلوقات، وطاقات وقوانين وظواهر. ويرتبط مع مفهوم التسخير أشد الارتباط «مفهوم النعمة»، لأن النعمة تستحق من الإنسان الرعاية، والحفظ، والحماية، والتنمية، والعلاقة بين الإنسان والنعمة المسخرة علاقة انتفاع متبادل؛ قوامها الحب، والمودة، وليس القهر والاستكبار، والسيطرة المتجبرة المفسدة للنعمة بالاستنزاف والتلويث.

وقد جمعت كل النعم المسخرة للإنسان في قوله تعالى: ﴿**ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتابٍ منيرٍ**﴾ «لقمان: ٢٠».

وعدم شكر الإنسان على النعمة المسخرة يؤدي إلى حدوث الأزمات الاقتصادية والأمنية﴿**وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**﴾ «النحل: ١١٢».

والشكر على ما سخر الله من نعم يعني على الصعيد البيئي:

ـ احترام وتقدير ما سخر الله من نعم، وعدم الإخلال بتوازنات النعم المسخرة تحت وطأة الاتجاه المؤله للذات أو الباخس لحق الأحياء الأخرى في الوجود المتنوع المتصل، أو تحت ضغط الدوافع الأنانية

الربحية النهمة التي أحدثت الخلل في السنن التوازنية بين المحيط البيئي المشيد والمحيط البيئي الأصيل المسخر للإنسان.

- عدم الإسراف في الانتفاع بالموارد المسخرة.

- رعاية وتطوير الاتجاه العلمي - التكنولوجي، الذي يحقق للأسرة الدولية بدائل الموارد والطاقات، فالكون زاخر بالموارد والطاقات المتجددة.

- تنمية الإتجاه التكافلي بين شعوب العالم، والتخلص من استئثار دول الشمال بالمعرفة، والتكنولوجيا والثروة الفائضة.

٨ - مفهوم اتصال الكون، وتناسق سننه:

إن الإنسان في الإسلام ليس عالماً مقفلاً عما حوله وإنما هو جزء من الكون له سنن تتسق مع سننه، فكل الدواب قد خلقت من أصل مشترك هو الماء، قال تعالى: ﴿**والله خلق كل دابة من ماء**﴾ «النور: ٤٥». فلِم يطغى الإنسان على سائر الدواب بتلويثه للهواء والمياه وقطعه أو إحراقه للغابات الاستوائية.. وكل ما في الكون يسبح بحمد ربه ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ «الإسراء: ٤٤».

وتسبيح الإنسان جزء من تسبيح الكون كله. وهذا المفهوم يرسخ توازنات أنظمة النعم المسخرة، ويحول دون إفساد هذه التوازنات عبر هم تباين الأنواع واستقرار الأنظمة البيئية «فهناك دلائل تشير إلى أن الإنسان قد بدأ يدرك بالتدرج أنه ليس بمعزل عن الطبيعة، وإنما هو جزء منها، وأخذ يكتشف أنه يشكل وحدة وظفية في كثير من النظم، وأن نشاطاته

يجب أن تكون متناسقة ومتناغمة مع أداء تلك النظم البيئية» (١٠ : ٢٢).

٩ ـ مفهوم التوسط أو الاعتدال:

قال تعالى: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط، فتقعد ملوماً محسوراً**﴾ «الإسراء: ٢٩».

وهذا السلوك الاقتصادي هو فرع من السلوك الوسطي العام للأمة المسلمة ﴿**وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس..**﴾ «البقرة: ١٤٣».

وهذا المفهوم يحد من اتجاهات الإسراف والتبذير، والأنانية على مستوى الأفراد، ويقلص من هذه الاتجاهات على مستوى الدول الغنية، فلا تجعل يدها مغلولة لا تمتد إلى دول العالم الفقيرة، ولا تبسطها كل البسط تبذيراً يبدد الموارد، وهذا إن حدث سيحد من استهلاك الوقود الضار بالبيئة ويقلل من عدد السيارات الخاصة التي تحتاج إلى ذلك الوقود، ويحد من الجشع الذي يدفع بالشركات متعددة الجنسيات إلى الاهتمام بالربحية وحدها دون إحساس بحقوق الآخرين في الاستمتاع بالمعيشة الكريمة، وإلى ذلك يدعو المبدأ (٨) من وثيقة إعلان (ريو) الذي يقضي بالحد من أنماط الإنتاج والاستهلاك غير المستديمة (٨: ٥٣) وهو مفهوم يلبي الدعوة البيئية إلى عدم الزراعة المنهكة للأرض (٨: وحيد عبدالمجيد: ٧١).

فهناك إذاً توسط في الإنتاج الذي يتجاوز سد الحاجات إلى إشباع الرغبات التي لا تكف عن قولة هل من مزيد! وتوسط في الاستهلاك

للموارد، وتوسط في الربحية، وتوسط في النشاط الزراعي.

ومخرجات هذا السلوك تتمثل في التخفيض من استهلاك الموارد والحد من تلوث البيئة، وتدمير الموارد إضافة إلى توفير فرص تكافل الدول الغنية مع الدول النامية؛ سواء فيما يتعلق بديونها المتعاظمة أو بنفقات حماية وتنمية البيئة.

١٠ ـ مفهوم المسؤولية المشتركة بين النساء والرجال:

إن المسؤولية الاجتماعية لا تقتصر على المؤمنين وحدهم بل تشمل المؤمنين والمؤمنات، وذلك بقول الله تعالى ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**﴾ «التوبة: ٧١».

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إطار عريض لكل الأدوار والمسؤوليات الاجتماعية التي يشترك فيها كل من الرجال والنساء، وإدارة وتنمية البيئة هو من المعروف الذي تقوم فيه المرأة بالدور الأعظم، حيث تتولى مهمة تنشئة الأطفال، وفقاً للقيم الإيجابية التي تتصل بالصحة، والنظافة، والإحساس بجماليات البيئة، وحقوق الجار، وعدم الإضرار بالآخرين، وعدم الإسراف في الاستهلاك، ورعاية الخضرة، وهي قيم تحتاج إلى رعاية الأم وعنايتها منذ الطفولة المبكرة، حتى يتوازن الأبناء في أنشطتهم البيئية عندما يلجون عالم المسؤولية المهنية والاقتصادية والسياسية والتشريعية والتربوية والإعلامية في مستقبل أعمالهم، وقد قال

الرسول ﷺ: «كلكم راعٍ وكل راعٍ مسؤول عن رعيته» أو كما قال. ولم يستثن من هذه المسؤولية قطاع النساء، وهذه المشاركة يدعو إليها المبدأ رقم (٢٠) من وثيقة (إعلان ريو لعام ١٩٩٢م) «دور المرأة دور حيوي في إدارة وتنمية البيئة ولذلك فإن مشاركتها على الوجه الكامل أمر أساسي لتحقيق التنمية المستديمة» (٨: وثيقة إعلان ريو: ١٥٤).

١١ ـ مفهوم التقدير:

إن الكون بما فيه من أنظمة بيئية قد خلقه الله بتقدير دقيق؛ وهو ما يقتضي من الإنسان معرفة أبعاد ذلك التقدير كي يضبط حركته مع ما فيه من قوانين، ومع ما يستلزمه من علاقات تبادلية، ومع ما يتطلبه من أنشطة اقتصادية تتصل برشد الإنتاج والاستهلاك وعدالة التوزيع، وغير ذلك من تناغم سنن الحياة الاجتماعية والعلمية مع سنن الكون وهذه بعض الآيات التي تناولت التقدير:

ـ قال تعالى: ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾ «القمر: ٤٩».

ـ وقال تعالى: ﴿**وكل شيء عنده بمقدار**﴾ «الرعد: ٨».

ولنر ما يقوله البيئيون عن جانب من ذلك التقدير «أما الطبيعة فهي محكومة بقوانين ايكولوجية أساسية تنظم علاقات مكوناتها بعضها ببعض، وهي غير قابلة للتعديل والتغيير، ولكنها تقبل التدخل في حدود قدراتها على التجدد، وتلك القوانين هي: (الكائنات الحية يعتمد بعضها على البعض الآخر، وأن ثبات الأنظمة البيئية يعتمد على تنوع مكوناتها وتعقيدها، وأن موارد البيئة الطبيعية محدودة..)» (١٠: ١٣٠ ـ ١٣١).

ويتفرع من هذا التقدير العريض تقديرات إلهية فرعية ومنها:

- أن أشكال الحياة يعتمد بعضها على بعض عبر علاقة الآكل والمأكول.

- وأن العلاقات الغذائية تأخذ صورة السلاسل الغذائية.

- وأن هذه السلاسل تأخذ اسم شبكة الغذاء.

- وأن النظام الغذائي لدى الكائنات الحية يأخذ شكل الهرم ويطلق عليه هرم الغذاء.

- وأن موارد البيئة منها ما هو متجدد ومنها ما هو غير متجدد.

- وأن من الموارد المتجددة الطاقة الشمسية، والماء، والهواء، ومن الموارد غير المتجددة الفحم الحجري، والبترول، والغاز الطبيعي، والمعادن (١٠: ١٤٠).

ويتحدث القرآن الكريم عن تقدير الموارد:

قال تعالى ﴿**وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام**﴾ «فصلت: ١٠».

فأقوات الكائنات الحية كلها قد قدرها الله، والمشكلة تنشأ من منابع خلل رئيسة هي:

* خلل في التوزيع، لما قدره الله من أقوات بفعل فساد المذهبية الاقتصادية الرأسمالية السائدة في ظل حضارة الغرب المعاصرة، مذهبية فردية، إستئثارية؛ زادتها العنصرية الغربية المتحيزة للرجل الأبيض وبالاً.. فأصبح القمح يرمى في البحر أو يأخذ المزارعون الأمريكان تعويضات عن عدم زراعته حتى لا تنخفض أسعاره في أسواق دول

الجنوب الفقيرة. أي أن مذهبية التوزيع، واستبداد الأنظمة، هما المسؤولان عن الخلل في سد حاجات الأسرة الإنسانية إلى أقوات ربها المقدرة..

* خلل في علاقة الإنسان بالأنظمة البيئية، فأضحى تأثيره سلبياً على قوانينها الدقيقة، «ويبدو أن الإنسان قد نسي أنه جزء مكمل في الأنظمة البيئية، له حقوق وعليه واجبات، فهو يكدس وراء جشعه ونهمه منتجات الترف المادي، مقتحماً من أجل ذلك بأسلحته البيولوجية الفريدة كل معاقل الأنظمة البيئية في البر البحر.». «فهل يعود إلى رشده ويقبل عرض البيئة للتعايش مع أنظمتها بالحكمة والتَّبَصُّر. وقبوله يضمن البقاء والاستمرار» (٢ : ١٣٨).

* قصور في السياسات والإستراتيجيات العلمية البديلة والتكنولوجية التي تستغل أو تحسن استغلال الموارد، وتقتحم عالم الموارد البديلة، وهي في إطار العبودية المنهجية لمالك تلك الموارد مصدر لا ينضب **﴿وآتاكم من كل ما سألتموه، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾** «إبراهيم: ٣٤». والموارد المتجددة كالمياه، والغطاء النباتي تزداد بسلوكيات التزام منهج الله **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً * ما لكم لا ترجون لله وقاراً * ؟﴾** «نوح: ١٠ ـ ١٣».

وهذا يستدعي جهداً تربوياً ـ قيمياً عملاقاً يتعاضد مع السياسات والإستراتيجيات العلمية والتكنولوجية المتطورة، فيتضافر العلم، والتكنولوجيا، والإيمان، والتربية، صوب تنمية بشرية مادية وغير مادية.

* خلل قيمي ـ أخلاقي يتصل بسلوكيات الإنسان المتصلة بأنماط الإنتاج والاستهلاك، وهو اليوم كما تريده الآلية الإعلامية الرأسمالية وتُسَوِّقُهُ في كل القارات نمط ربحي، أناني، جشع من قبل الشركات متعددة الجنسيات العملاقة، وهو من قبل مستهلكي دول الجنوب المتخلفة نمط ترفي بذخي، أو هو تطلع إلى هذا النمط بفعل التأثير الإعلامي لتلك الشركات، وفي الجملة هو نمط تنمية مادي تغلب عليه الاعتبارات الاقتصادية والمصالح المادية على الاعتبارات الإنسانية.

١٢ ـ مفاهيم المصلحة والضرر:
و(مفاهيم المصلحة والمفسدة):

هناك مجموعة من القواعد الفقهية تعد من الأحكام الكلية، التي تندرج تحتها فروع أو جزئيات كثيرة في مختلف ميادين السلوك الإسلامي، ومن تلك القواعد:

ـ **لا ضرر، ولا ضرار**، وأساسها حديث الرسول ﷺ «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»، وتتضمن حكمين أساسيين: الأول منع الضرر، والثاني: منع مقابلة الضرر بضرر مثله في الأموال، ومنع الضرر شامل، يشمل منع الضرر بالنفس، والمال، والعرض، ويتفرع عن القاعدة العامة جملة قواعد ومنها قاعدة: الضرر يدفع بقدر الإمكان، والضرر الأشد يُدفع بالضرر الأخف، ويتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام كالحجر على الطبيب الجاهل، والغني الماجن، وتسعير بضائع التجار إذا طمعوا في احتكارها وزيادة أسعارها. (١١: ٢٦٦).

ـ **دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح**، ومن النصوص القرآنية التي قررت الإصلاح ورعاية المصلحة قوله تعالى ﴿**إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت**﴾ «هود: ٨٨»، وقوله تعالى ﴿**ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**﴾ «الأعراف: ٥٦»، وقوله تعالى ﴿**والله يعلم المفسد من المصلح**﴾ «البقرة: ٢٢٠»، وقوله تعالى ﴿**وما كان الله ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون**﴾ «هود: ١١٧»، وقوله تعالى ﴿**إنا لا نضيع أجر المصلحين**﴾ «الأعراف: ١٧٠» ويمكن أن يدخل ضمن هذه القواعد كل من الأنشطة التنموية والبيئية؛ فالأنشطة التنموية يمكن أن يشملها مفهوم الإصلاح ورعاية المصلحة بما في ذلك حماية ورعاية وتنمية البيئة، والأنشطة البيئية الضارة بالمجتمع المحلي، أو العالمي، مما يستلزم إزالتها، وتحمل مسؤوليتها وفق مبادئ القانون الدولي البيئي، والاتفاقيات الدولية البيئية.

فرعاية المصلحة يدخل فيها وفقاً لما ذهب إليه القاضي «أبو يوسف» في كتابه (الخراج) «جميع الأعمال اللازمة لاستغلال ثروات البلاد وخيراتها على وجه يعود بالنفع العميم على الجميع، فهذه يجب القيام بها مثل تنظيم الري في البلاد، وإقامة السدود، وتحسين الزراعة واستخراج المعادن، وإقامة المصانع، وتعبيد الطرق التي تسهل نقل المحاصيل، وإيجاد سبل العمل الشريفة للمواطنين إلى غير ذلك من الأمور التي لا يمكن حصرها وعدها، وتختلف باختلاف الزمان والمكان والظروف والأحوال». (١١ : ١٠٧).

ودفع المفاسد البيئية عن الدول النامية وإن جلبت المصالح للدول

الغربية الغنية مما ينبغي الالتزام به في المجتمع الدولي، كدفن النفايات النووية، والسامة، في أراضي أو بحار الدول النامية كما حدث في الصومال وأضرار التجارب النووية والمفاعلات النووية وهذا ما يدعو إليه المبدأ رقم (١٤) في وثيقة إعلان (ريو) بشأن البيئة والتنمية والذي يقضي ببلورة التعاون الدولي لمنع تغيير المواقع والأنشطة، والمواد التي تسبب التدهور الشديد للبيئة أو الإضرار بصحة الإنسان من دولة إلى أخرى، والمبدأ رقم (١٣) الذي يقضي بسن التشريعات على المستوى الوطني و(الدولي) لمعالجة المسؤولية والضرر تجاه ضحايا التلوث، والأضرار البيئية على المستوى الوطني والدولي، خارج نطاق ولاية الدول، وتطبيق المبدأ (١٢) الذي يقضي بوجود التوافق الدولي في الآراء التي تتعلق بالتدابير البيئية التي تعالج المشكلات البيئية عبر الحدود (٨: ١٥٣ ـ ١٥٤) وتطبيق التوصية رقم (١) الصادرة عن مؤتمر تبليسي (في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٧٧م) (المؤتمر الدولي الحكومي للتربية البيئية): «الامتناع عن كل ما يشوه ويهدد حياة الإنسان، وصحته، واقتصادياته» (٢: ١٣٩).

وعلى صعيد التنشئة البيئية يمكن أن تتبنى الوسائط التربوية الرسمية وغير الرسمية اتجاهات المسؤولية الاجتماعية، والاتجاه العلمي، والاتجاه التكنولوجي، والاتجاه العملي، والتوازن بين مصلحة الفرد والمجتمع، وتنمية قيم المسؤولية الاجتماعية الإقليمية والدولية، وترسيخ الإيمان بحقوق الإنسان كفرد، وشعب، ودولة إزاء التمتع بالمعيشة، والصحة، الملائمتين، وما يترتب على ذلك من مسؤولية دولية إزاء الأضرار التي تلحق بالآخرين من جراء الأنشطة الضارة بالإنسان والبيئة، وتنمية

الإحساس بالقيم الجمالية المتصلة بموجودات وظروف البيئة المحيطة بالإنسان، وبسائر الأحياء والعناصر البيئية.

١٣ ـ مفهوم العدالة:

«نريد من العدالة هنا، العدالة بكل ما تشتمل عليه، وإذا كان لكل نظام شعار خاص به، فشعار النظام الإسلامي العدالة المطلقة أو العدالة النسبية في هذا الوجود، وقد كان عنوان الإسلام هو العدل، فعندما سأل سائلٌ عن كلمة جامعة لمعاني الإسلام تلا النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾ «سورة النحل: ٩٠»، والقسط شعار الديانات السماوية كلها فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قويٌ عزيز**﴾ «سورة الحديد: ٢٥».

فالقسط بمقتضى هذا النص العام الشامل شريعة النبيين أجمعين. ويبدو أن العدالة تتنوع، وتتفرع، وهي أساس في كل تنظيم أحادي أو جماعي أو دولي، فهي توزيع القوى الإنسانية في هذا الوجود بحيث تسير كل قوة في مسارها الذي ارتسمته ونهجته، حتى تلتقي القوى المختلفة في نهايتها في نقطة واحدة، هي مركز القوى في الأمة، أو القوى في الإنسانية كلها، فيحقق الإنسان خلافته في الأرض على أكمل وجه أو على وجه قريب من الكمال، أو على وجه يغلب فيه الخير المنتج بدل الشر المفسد، وإن العدالة على هذا لها شُعب:

ـ العدالة القانونية.

ـ العدالة الاجتماعية.

ـ العدالة الدولية (٦: ٣٠).

«والمودة هي أساس العلاقات الإنسانية دائماً، ولكن إذا كانت العداوة، ووقعت الحروب واشتجرت السيوف، فعلى المسلمين أن يعدلوا مهما تكن درجة العداوة، ولذلك قال الله تعالى ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قومٍ على ألّا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ «سورة المائدة: ٢». أي لا يحملنكم بغضكم الشديد لقومٍ على ألا تعدلوا فيهم، فالعدالة حق مقدس قرره الله تعالى، يشترك فيه الولي مع العدو، ولذلك (إذا اعتدوا) كان قانون العدالة يوجب رد الاعتداء بمثله من غير شطط، ولذلك قال الله تعالى ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين**﴾ «سورة البقرة: ١٩٤». وإذا لم يعتدوا لم يكن للمسلمين حق القتال إلا إذا علموا أنهم (يعدون العدة) ويأخذون الأهبة، فإنه لا يسوغ الإسلام للمسلمين عندئذ أن ينتظروا حتى ينقضوا عليهم، بل عليهم أن يعاجلوهم قبل أن يبدؤوهم، و(خير الدفاع ما كان هجوماً)، إن ظهرت واضحة أمارات الاعتداء» (٨٢: المرجع السابق، ٤١).

واجتماع الكتاب والميزان، والقسط (العدل) في آية سورة الحديد رقم (٢٥) يعني أنه «لا مكان في مجتمع مؤمن لسيادة الجهل وإقرار الفساد، والحيف على الضعيف، إذا لا يسمح بهذا ميزان ولا تسمح به حكمة»، «وأن يترابط العدل بالحكمة (الميزان)، فلا مكان في بناء المجتمعات للعبث، والفوضى، والجور، وإشباع نوازع العلو والظهور،

وإرضاء الجامحين إلى الاكتناز والتكاثر». (٦ : ٧٤).

فماذا يقول رجال البيئة عن واقع العدالة في العالم: «لكن المشكلة تكمن في أن الغـذاء، والدخل اللازم لشرائه يعانيان من عدم تكافؤ في التوزيع بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة (بين دول الشمال والجنوب) وبين الأغنياء والفقراء بشكل عام». (١٠ : ١١٥).

فالأنـظمـة الاقـتصـادية ـ السياسية اليوم تتصف بقيم التفـاوت والإجحاف، الأمر الذي ولّد آثاراً سلبية على كل من البيئة والتنمية «تتسم المنظومة الاقتصادية سواء على المستوى العالمي أو القومي بالإجحاف في توزيع الـدخل والثروات بين أقلية مؤثرة، وغالبية معدمة، ولكل من الوفرة والفقر آثاره البيئية» (٨ : خالد محمد فهمي، مرجع سابق : ١٠٧).

وهذا بعيد عن المبدأ القرآني الواضح الجلي الذي تضمنه قول الله تعـالى: ﴿**كي لا يكـون دولة بين الأغنياء منكم**﴾ «سورة الحشر: ٧»، وانفراط عقد العدالة في العالم أدى إلى أن يقوم أغنياء الدول الصناعية (دول الشمال) بِـ:

ـ إنتاج ٩٠٪ من النفايات الخطرة في العالم.

ـ إطلاق ٧٤٪ من غازات ثاني أكسيد الكربون الذي يرفع من درجة حرارة الأرض.

ـ إنتاج ١٠٠٪ من مركبات الكلور والفلور والكربون وهي التي عملت وتعمل على تآكل طبقة الأوزون.

وإلى أن يقوم فقراء العالم (دول الجنوب الفقيرة) بِـ:

ـ إجهاد النظم البيئية.

ـ الإضرار بنوعيتها.

ـ استزراع الأراضي الزراعية الحديثة على سفوح الجبال، وحواف الأحراج، وإلى قطع الغابات متسببين في نحر التربة وانجرافها، وإلى الرعي الجائر الذي أضر بالغطاء النباتي، وإلى تكوين التصحر. . كما أن هؤلاء الفقراء لا يستطيعون التمتع بالخدمات الائتمانية، مما يعني عدم التمكن من الاستثمار في مشروعات تحسين التربة ورفع إنتاجيتها. . وحيث أن الناس في الدول النامية أكثر التصاقاً في إشباع حاجاتهم الأساسية من المأكل والمشرب بأنظمة البيئة الطبيعية، فإن هذا الوضع يؤدي إلى تفشي الأمراض وخاصة بين الأطفال، فيؤدي إستخدام المياه الملوثة بيولوجياً إلى انتشار (أمراض الإسهال) التي تؤدي سنوياً إلى هلاك (٣ ملايين نسمة) معظمهم من الأطفال، وتسبب في حدوث (٩٠٠ مليون حالة مرضية)» (٨: المرجع السابق، ١٠٧).

«هناك إذاً خلل في النظام الاقتصادي أدى إلى اختلالات في توزيع الثروة، وفي نمط الإنتاج والاستهلاك، وفي تفاوت المسؤولية في تلويث البيئة أو في إجهاد الدول الفقيرة للنظام البيئي ومعاناتها من مشكلات الصرف الصحي، والمياه الملوثة.

كما تعاني الدول النامية من التقسيم الظالم للعمل، الأمر الذي أدى إلى استنزاف الموارد الطبيعية للحصول على فرص العمل، والحصول على الأموال اللازمة لتسديد الديون لدول الشمال، وتنمية الناتج الإجمالي، وإزالة الأحراج الاستوائية للحصول على موارد أجنبية من جراء

تصدير الأخشاب، لغرض تسديد الديون وفوائدها المتعاظمة. وأثّر نمط التجارة الدولية السائد على دخول هذه الدول بسبب (سياسات الحماية) التي تتبعها الدول الصناعية الغنية المستأثرة، وبسبب التبادل الدولي غير المتكافئ مما جعل أسعار كثير من السلع الأولية منخفضة، في حين زادت أسعار السلع المصنعة المصدرة من الدول الصناعية إلى الدول النامية، وهذا ضاعف من حاجة الدول الأخيرة إلى التخفيف من ديونها وتحسين أوضاعها التجارية، وتوفير الموارد الكافية لها لاستحداث ممارسات اقتصادية سليمة بيئياً» (٨: المرجع السابق، ١٠٧ ـ ١٠٨).

«فمشاكل البيئة إذاً ليست فنية، بل هي مشكلة اقتصادية ـ سياسية ـ اجتماعية المنشأ، والحلول ليست في تغييرات تحدث بالمنظومة التقنية كما يخيل للبعض، ولكن الحلول الجذرية للمشكلة تستند إلى تغييرات في المنظومة الاقتصادية السياسية الاجتماعية، فتلك المنظومة هي التي تعزز القرارات المصيرية حول:

ـ ما الذي ينتج؟
ـ وكيف ننتج؟
ـ وأين ننتج؟
ـ وكيف نوزع التكاليف؟
ـ وكيف نوزع الفوائد؟
ـ ومن يشارك في اتخاذ القرار؟ ومن لا يشارك؟

ولكل ذلك انعكاساته على اختيار مفردات المنظومة التقنية، والتي تستخدم لاستخلاص السلع والخدمات من صورتها الطبيعية وجعلها في

خدمة تحقيق أغراض المجتمع البشري، ولذا فإنه إذا سلمت المنظومة الاقتصادية ـ السياسية ـ الاجتماعية سلمت البيئة، وإن فسدت الأولى فسدت الأخيرة» (٨: المرجع السابق، ١٠٥)، وبلسان السيد (موريس سترونج)، السكرتير العام لقمة الأرض: «إنه رغم كل الانتقادات الموجهة إلى المؤتمر (قمة ريو) فقد ظهرت عوامل جديدة في المعادلة، وأصبح الناس يتحدثون عن مشكلات البلاد النامية، وعن الفقر، وعن الظلم، وعن شروط المعاملات التجارية، وعن انسياب الموارد، ولم يعد ممكناً أن يتحدث الناس عن البيئة دون أن تكون كل هذه العوامل في الاعتبارات» (٨: المرجع السابق، ١١١).

أي أن التصدي لمشكلات البيئة من منظور عدالي يتطلب:

ـ معالجة التفاوت العالمي في الثروة والدخل ومستويات التنمية.

ـ إدخال تغيرات اقتصادية سياسية في الدول النامية لمعالجة التفاوت بين القلة الغنية، والكثرة الفقيرة.

ـ إدخال التعديل على التقسيم الدولي للعمل، للحد من استنزاف الدول النامية لمواردها الطبيعية وتحسين معيشة الفقراء فيها.

ـ تعديل نظام التجارة الدولية غير المتكافئ.

ـ إدخال تعديلات على أنماط الإنتاج والاستهلاك، ورسم سياسات إعلامية تتصدى للجهود الإعلامية التي تبذلها الشركات متعددة الجنسيات في دول الجنوب لترسيخ وتوسيع سلوكيات المحاكاة لنمط الاستهلاك الغربي، وفق نمط التنمية الغربي الذي يغلِّب المادية، والاعتبارات المالية، والربحية الأنانية.

ـ معالجة سياسات الدعم، وسياسات التسعير للمنتجات الصناعية المصدرة إلى الدول النامية على النحو الذي ينهض باقتصادياتها، ويحسن من أوضاع البيئة فيها»، ويعالج فجوة التفاوت في الدخل والقوة الشرائية لدى فئتي المجتمع؛ القلة الغنية والكثرة الفقيرة. (٨: المرجع السابق، ١٠٧ ـ ١٠٨).

ـ أن تأخذ السلطات الوطنية بالنهج القاضي بأن يكون المسؤول عن التلوث هو الـذي يتحمل من حيث المبدأ تكلفة التلوث. (وثيقة إعلان ريو، المبدأ ١٦؛ مرجع سابق، ١٥٤).

١٤ ـ مفهوم الوقاية:

* قال رسول الله ﷺ «الطاعون آية الرجز، ابتلى الله عز وجل به ناساً من عباده، فإذا سمعتم به فلا تدخلوا عليه وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تفروا منه» (١: ٤٧).

* وقال: «لا يرد مصح على مريض».

وهذا المفهوم الإسلامي يمكن توظيفه في تطبيق المبدأ رقم (١٥) من وثيقة (إعلان ريو) الذي يدعو إلى أن تأخذ الدول بالنهج الوقائي حسب قدراتها (١: المرجع السابق، ١٥٤).

وحتى تحدث مواقف لدى فئات المجتمع، وخاصة في بيئة اجتماعية معـظم أفـرادها من الأميين كما هو في المجتمع العربي، يستلزم الأمر سياسة إعلامية لا تقتصر على الصحافة، بل تتركز في الوسائل الإعلامية

الأكثر جماهيرية كالتلفاز والإذاعة «فالإدراك الشعبي للقضايا البيئية له أهمية عظمى في أية استراتيجية لتحقيق التنمية القابلة للاستمرار». (٨: د. ألفت حسن آغا، مرجع سابق، ١٥٠).

وإلا فإن الجماهير ستترك دون خُلق ووعي بيئي قد يؤديان إلى تجنب وقوع الحدث البيئي الضار في المستقبل أو الحد من آثاره إذا وقع. (٨: المرجع نفسه، الصفحة نفسها).

١٥ ـ مفاهيم التنشئة الجسمية والصحية:

* **مفهوم الاختيار للزوجين، ومفهوم الاغتراب:** اهتم الإسلام بالإنسان، منذ اختيار الزوجين، لتوفير الأرضية التربوية الملائمة للطفولة، فأمر الرسول ﷺ بحسن اختيار الخطيب والخطيبة، وحسن الاغتراب في الاختيار حتى يكون النسل قوياً «فاظفر بذات الدين تربت يداك»، «اغتربوا لا تضووا». (١: ٤١).

* **مفهوم الحفاظ على حياة الطفل:** قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول».

* **مفهوم المباعدة بين الولادات:** قال تعالى: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهناً على وهن، وفصاله في عامين**﴾ «لقمان: ١٤».

* **مفهوم الرضاعة الفطرية «رضاعة الأم»:** قال تعالى: ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين**﴾ «سورة البقرة: ٢٣٣)، وقال الرسول ﷺ: «توقوا أولادكم لبن البغي، والمجنونة». فلبن الأم يؤثر على صحة الطفل، ونفسيته، وأخلاقه، ومستقبله، ومزاجه.

* **مفهوم الرخصة للحامل والمرضع**: قال الرسول ﷺ: «إن الله وضع عن المسافر الصوم، وشطر الصلاة، وعن الحبلى والمرضع الصوم».

* **مفهوم التغذية المتكاملة المتوازنة، التي ينتج عنها المؤمن القوي**:

ولذلك نجد القرآن الكريم قد تناول في آيات عديدة مختلف المواد الغذائية التي شملت الخضروات، والفواكه واللحوم، والألبان، والتي تحتوي على البروتينات، والنشويات، والدهنيات، والفيتامينات والسكريات، ومن أمثلة ذلك: ثمار النخل والزروع المختلفة والزيتون والرمان «سورة الأنعام: ١٤١»، ولحوم الأنعام «سورة الرحمن: ٦٨»، والعسل، «سورة النحل: ٦٩»، والحبوب «الأنعام: ٩٩»، وألبان الأغنام، والأعناب «سورة النحل ٦٦ ـ ٦٧».

* **مفهوم النظافة الشخصية**:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة»، «النظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة»، «لا تقبل صلاة بغير طهور»، وتتفرع النظافة الشخصية إلى:

ـ **نظافة البدن: وتشمل**:

ـ **نظافة اليد**، قال رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده»، «قصوا أظافركم»، ومن السنة غسل اليد قبل الأكل وبعده.

ـ **نظافة الرأس**: قال رسول الله ﷺ: «من كان له شعر فليكرمه»، ومن السنة العناية بالشعر، وتمشيطه، وترجيله.

ـ **نظافة العين**: فقد كان للرسول ﷺ إثمد يكتحل به عند منامه في

كل عين ثلاثاً.

ـ **نظافة الفم**: قال رسول الله ﷺ: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»، «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»، ومن السنة المضمضة عند الوضوء.

ـ **نظافة الأنف**: فمن السنة الاستنشاق عند الوضوء.

ـ **نظافة الثوب**: قال تعالى: ﴿**وثيابك فطهر**﴾ «المدثر: ٤»، وقال تعالى: ﴿**خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾ «سورة الأعراف: ٣١»، وقال الرسول ﷺ: «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم»، «ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبي مهنته».

* **مفهوم نظافة البيوت**: قال الرسول ﷺ: «نظفوا أفنيتكم».

* **مفهوم نظافة الطعام**: فقد نهى الرسول ﷺ عن النفخ في الماء والطعام، وأن يتنفس في الإناء، وأوصى بتغطية الأواني.

١٦ ـ مفاهيم صحة البيئة:

* **مفهوم الاقتصاد في استخدام الماء**: قال الرسول ﷺ «لا تسرف في استخدام الماء ولو كنت على نهر جار».

* **مفهوم سلامة الماء الراكد**: فقد نهى عن التبول فيه «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل فيه»، «لا تبل في الماء الدائم الذي لا يجري ثم تغتسل فيه»، «لا يبولن أحدكم في مُسْتَحمّه ثم يغتسل فيه».

* **مفهوم الرقابة من النجاسة**: فقد نهى الرسول ﷺ عن التبول على الحجر أو على أرض صماء حتى لا يتطاير البول على المتبوّل، وفي هذا السلوك محافظة على جماليات الشم أيضاً.

* **مفهوم الوقاية من الملاعن الثلاثة**:

- البراز في موارد الماء.
- البراز في قارعة الطريق.
- البراز في الظل.

وقد قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في موارد الماء، وقارعة الطريق، والظل»، وقال: «اتقوا اللاعنين: الذي يتخلى في طرق الناس أو في ظلهم»، وفي هذا علاج وقائي من تلوث المياه، وتلوث الطرقات، والمستنقعات فضلاً عن الاحترام للأشجار الوارفة الظلال، وهي قيمة تنمي التشجير، وتنمي احترام الإنسان الذي يستظل بظلال شجرة أو صخرة أو كهف أو غيره.

ثم ألا ترى في هذه السلوكيات علاجاً للأخلاق التخومية التي يشتكي منها رجال البيئة، وهي أخلاق تسلخ من الإنسان اهتمامه بالآخر، وتغرقه في الأنا.

* **مفهوم نظافة الطرقات**، فقد قال الرسول ﷺ: «حق الطريق: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر». ومن كف الأذى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عدم تلويث

الشوارع بالنفايات، وأكياس البلاستيك وعدم وضع تلك النفايات في غير الأماكن المخصصة لها، وعدم البصاق في الأماكن العامة والطرقات، والعمل على تشجير الطرق واستزراع الزهور فيها.

وقال الرسول ﷺ: «الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبة، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول لا إله إلا الله»، «من آذى المسلمين في طرقهم، وجبت عليه لعنتهم» (المرجع السابق: ٣١: ٦١). ويتضح مما سبق أن هناك حشداً من المفاهيم القيمية التي يمكن أن تكون مادة تنشئة جسمية، وصحية، وجمالية للإنسان منذ ما قبل الزواج والحمل والولادة، وتشمل:

- العناية بالأرضية الأسرية للطفل.
- العناية بالأم المرضع والحامل.
- العناية بالتنشئة الجسمية القوية، والسليمة، وتشمل التغذية المتكاملة المتوازنة، والعناية بنظافة كل أجزاء الجسم وجوارحه: «الرأس، والشعر، والأنف، واليد، والفم والأسنان، والعين، والإبط، والعانة، والرجل، والثوب.. والتزين عند كل صلاة».

- العناية بنظافة الطعام، والشراب، والأواني.
- العناية بنظافة المنزل (الأفنية).
- العناية بنظافة الطريق العام.
- العناية بالظلال.
- العناية بموارد المياه.
- العناية بالمكان، والمسجد، وثياب المسجد، والزينة عند كل

مسجد، وإبعاد ما يلوثه.

ـ العناية بالاقتصاد، والاعتدال في استهلاك المياه والطعام. «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع».

١٧ ـ المفاهيم الجمالية:

مقدمة:

يتحدث البيئيون عن أهمية الاهتمام بالقيم وتمكين الأفراد من اعتناقها عن وعي، لتكون أساساً للانضباط الذاتي في العلاقة مع البيئة، ومن ضمن تلك القيم؛ القيم الجمالية: «وفيما يتعلق بالقيم ينبغي للتربية البيئية أن تطور مواقف ملائمة لتحسين نوعية البيئة، فلا سبيل إلى إحداث تغيير حقيقي في سلوك الناس تجاه البيئة إلا إذا أمكن لغالبية الأفراد في مجتمع معين أن يعتنقوا عن إرادة حُرّةٍ ووعي قيماً أكثر إيجابية، تصبح أساساً لانضباط ذاتي، ولهذه الغاية ينبغي للتربية البيئية أن تسعى إلى توضيح وتنسيق ما لدى الأفراد والمجتمعات من اهتمامات وقيم أخلاقية (وجمالية)، واقتصادية، بقدر ما لها من تأثير على البيئة» (٢ : ٣٠٦).

«.. ذلك أن التضافر الحقيقي بين قدرات المعرفة، وغيرها من العناصر مثل القيم، و(النظرة الجمالية)، والمهارات العملية، في إطار الجهود المنسقة ومشاركة الأفراد داخل مختلف الجماعات، والمرافق التي يتكون منها المجتمع المحلي سيؤدي إلى فهم البيئة وترشيد إدارتها وتحسينها» (٢ : ٣٠٩).

وقد جاء (البعد الجمالي) ضمن المبادئ والتوجيهات التي تمخضت عن مؤتمر (تبليسي) عام ١٩٧٧م: «تدرس البيئة من كافة وجوهها

الطبيعية، والتكنولوجية، والاقتصادية والسياسية والثقافية والتاريخية والأخلاقية، و(الجمالية)». (١٠: ١٣٥).

ويدعو البيئيون المختصون إلى تبني الأخلاقيات الاستمرارية التي تتجاوز الاعتبارات الاقتصادية وتهتم بالقيم غير المادية: «سنتعلم أن ندرس قراراتنا الاقتصادية والموردية، ونوجهها نحو الحفاظ على سلامة العالم، واستقراره، (وجماله)، وسنتبين أن الأشياء لا تقاس جميعها بالثمن النقدي، ونتجنب الممارسات التي تسلبنا الأمن، والسعادة و(الجمال) والصحة، ونسعى لبقاء كيفي لا كمي، وندير ظهورنا للممارسة المادية المفرطة». (١٠: ٥٨).

إن البعد الجمالي، بعد ملحوظ في آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهو جزء من الإعجاز الأدبي، اللغوي لكتاب الله، وله مجالات عديدة تتصل بآيات الله الكونية، كجمال الليل الساجي، وجمال الأنعام عند الغدو والرواحة، والعلاقات الأسرية كالتسريح الجميل، والقيم الأخلاقية كالصبر الجميل، وغير ذلك من ألوان الجمال التي يهدف الإسلام من ورائها إلى تكوين حاسة التذوق الجمالي تجاه كل العلاقات التي تتصل بالحياة الإنسانية، وعندما نتصفح آي القرآن العظيم سنجد أنها قد تناولت الجمال وهو متصل بالاتساق، والتناسق في المشاهد الكونية الجمالية، وتناولت الجمال عبر الألوان والأصوات، والروائح، والحركات، والأشكال، بهدف تكوين التذوق الجمالي، وما يتمخض عنه من عادات، ومواقف عملية ترقى بالسلوك الإنساني إلى أفق الضبط الذاتي، وتكسبه الدوافع التي تؤازر التشريع، والسياسة التربوية اللذين

يعجزان عن ترقية السلوك بدون تلك الدوافع الداخلية الراقية.

ونورد طائفة من تلك الجماليات (٥: ٣١٥ ـ ٣١٩):

* مفهوم التذوق الإدراكي للجمال:

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه، إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾ «الأنعام: ٩٩»، ألا ترى أن الأمر بالنظر إلى الثمر والينع معناه تكوين حاسة التذوق الجمالي للألوان والأشكال؟.

﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال) حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرؤوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة، ويخلق ما لا تعلمون﴾ «النحل: ٥ ـ ٨). ألا ترى أن الآيات الكريمة قد رسمت أمامنا جماليات الحركة، والأصوات والمشاهد، في علاقتنا بالأنعام ووسائل المواصلات والنقل التقليدية، والجديدة التي يشير إليها قوله تعالى: **﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾**.

﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقومٍ يعقلون﴾ «البقرة: ١٦٤».

في هذه الآية مظاهر جمالية عديدة:

- تناسق واتزان الكواكب والنجوم.

- تتابع، وتعاقب الليل والنهار، وفي كل منهما جماليات كالليل إذا سجى، والضحى، والليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس.

- وحركات السفن، وأشكالها.

- ومشاهد السحب، والأمطار الهاطلة التي تبعث حياة التربة بعد موات فإذا بها قد كسيت بالخضرة، والثمار المختلفة الطعوم والألوان والأشكال.

- وآثار الرياح، وهي تحرك ما سخرت لتحريكه من أغصان، وسحب.

ألم يجتمع عندك وأنت تَتَملّى كل تلك الصور جماليات الخيال، والحركة، واللون، والصوت، والشكل، وهي جماليات مشحونة ببعدي الاتساق والاتزان؟؟

* مفهوم التمييز الجمالي للطعوم:

﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ «الرعد: ٤». وكيف نميز بعضها على بعض في الأكل، إن لم تكن لدينا حاسة التذوق الجمالية التي تميز بين طعوم (المانجو)، وطعوم (الأعناب) وطعوم (البلح التمور)؟؟.

* مفهوم التمييز الجمالي للألوان:

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً (ألوانها) ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف (ألوانها) وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والأنعام مختلف (ألوانه) كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماءُ إن الله عزيزٌ غفور﴾ «فاطر: ٢٧ ـ ٢٨».

والآيتان تتحدثان عن جماليات الألوان في مجالات شتى: نباتية، ومعدنية، وصخرية، وإنسانية، وحيوانية، وحشرية، وتربط بين الجماليات، والنظرة العلمية إلى ما وراء تلك الجماليات، فيجتمع عند المتأمل الدارس المتذوق جمال المشاعر والذوق، وعبرة العلم، وبهما يشق طريقه نحو مخافة الله الذي أبدع وأحسن فيما خلق وصور.

* مفهوم التمييز الجمالي للحركات:

﴿فلا أقسم بالخُنَّس. الجوار الكُنَّس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تَنفَّس﴾ «التكوير: ١٥ ـ ١٨».

* مفهوم التمييز الجمالي للأصوات:

﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً﴾ «طه: ١٠٨».
﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً. إلا قليلاً سلاماً سلاماً﴾ «الواقعة: ٢٥ ـ ٢٦».

ومن جماليات الصوت تحسينه وخاصة في تلاوة القرآن الكريم:

ـ فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال له: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير داوود» (صحيح البخاري: ٤/ ١٩٢٥/ ٤٧٦١).

ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن» (صحيح البخاري: ٦/ ٢٧٢٠/ ٧٠٤٤).

* **المفهوم المظهري للجمال (الزينة):**

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ «الأعراف: ٣١ ـ ٣٢».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما يجد حتى أجد بيض الطيب في رأسه ولحيته» (صحيح البخاري: ٥/ ٢٢١٤/ ٥٥٧٩).

* **جماليات النظافة والنظام والحياة العامة:**

«إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريمٌ يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا (أفنيتكم) ولا تشبهوا باليهود» (أخرجه الترمذي، ابن الربيع الشيباني، تيسير الوصول) (ج٢: ١٤١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «عرضت عليَّ أمتي بأعمالها، حسنها وسيئها، فرأيت في محاسن أعمالها (إماطة الأذى عن الطريق) ورأيت في سيئ أعمالها (النخامة في المسجد لم تدفن)

(صحيح الجامع: ٢/٧٤١/ ٤٠٠٣).

ويقاس على ما سبق: تشجير الطرقات، وإضاءة الشوارع ليلاً، ونظافة الشوارع والطرق، وتجميل المباني.

وعنه ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» (صحيح الجامع: ١/٣٥٩/ ١٧٤١).

ونلاحظ أن النظافة مطلوبة في الأفنية، وفي الجسم، وفي المنزل، وفي الأواني، وفي الأطعمة، وفي المتنفسات، وفي الطرقات، وفي البحار، والأنهار، وفي المساجد.. لأن النظافة محبوبة على إطلاقها وهي تشمل ما ذكر وغيره.

ويلاحظ أيضاً أن الجمال يحبه الله في كل شيء، وكيف يكون الجمال موجوداً وقد حل التلوث في كل شيء، في الماء والتراب والهواء و...؟

وكيف يكون ملازماً لكوكبنا الأرضي وقد سبب التلوث اختراق غلافه الواقي لحياتنا؟.

وأين هي النظافة وأين هو الجمال، والشوارع والأزقة قد تراكمت فيها النفايات والقاذورات؟.

وأين هي الحاسة الذوقية الجمالية إزاء ما تراه الأعين وتشمه الأنوف من مظاهر الخلل في كل ما يحيط بنا؟.

إن المشكلة لا تنحصر في غياب المفاهيم وحدها، وإنما في آليات

التنشئة، التي لا تستند على تكوين العادات الجمالية منذ وقت مبكر. . . (علموهم الصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر)، وتكوين العادات يحتاج إلى توفير عنصر القدوة الجمالية الذوقية في العقل والقلب والموقف من قبل المربين، وقادة الفكر والسياسة والعلم والاقتصاد والإعلام.

* **الجماليات القيمية والمعنوية:**

ـ عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها» (صحيح الجامع: ١/٣٥٩/ ١٧٤٣).

ـ وعن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس» صحيح الجامع، (١/٣٥٩/ ١٧٤٢).

١٨ ـ مفهوم الأمة:

ـ قال تعالى: ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون**﴾ «المؤمنون: ٥٢».

ـ وقال تعالى: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**» «الأنبياء: ٩٢».

ـ وقال تعالى: ﴿**ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك**﴾ «البقرة: ١٢٨».

ـ وقال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾ «البقرة: ١٤٣».

ـ وقال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران: ١١٠).

ـ وقال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر..﴾ «آل عمران: ١٠٤».

ـ وقال تعالى: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا..﴾ «يونس: ١٩».

ـ وقال تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين..﴾ «البقرة: ٢١٣».

ـ وقال تعالى: ﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم..﴾ «الرعد: ٣٠».

ـ وقال تعالى: ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ «المائدة: ٤٨».

ـ وقال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ «هود: ١١٨».

ـ وقال تعالى: ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ «الشورى: ٨».

ـ وقال تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (فاطر: ٢٤).

ـ وقال تعالى: ﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ «الجاثية: ٢٨».

إذا تأملنا مضامين مصطلح «أمة» في الآيات الكريمة لاحظنا في كل موضع ورد فيه هذا المصطلح بعد التوحد، والجماعة المتجانسة في خصائصها.

إن الله تعالى يمتدح الاجتماع، ويذم التفرق والاختلاف، فقد كان

النـاس جميعاً أمة واحدة، والهداية الإلٰهية الضابطة للشهوات هي التي توحدهم بعد اختلاف وتمزق، وهذا هو الامتحان الذي تمتحن فيه إرادة الأفراد المنتمين إلى الأمة المسلمة، التي لها من الخصائص الإيمانية، والثقافية، ما يحقق لها إعادة توحدها، وهو ما امتن به الله تعالى على أمة العرب يوم نزول الإسلام على سيدنا محمد ﷺ النبي العربي: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم**...﴾ «آل عمران: ١٠٣».

وقد حفظ الله لهذه الأمة سبيل توحدها المتجدد، وهو القرآن العظيم فقال: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾.

وعندما نوظف هذا المفهوم من الزاوية البيئية نجد أنفسنا أمام هذه المسائل:

١ ـ يمكن أن تتضافر الدول المتجاورة، في التصدي لمشاكلها البيئية كدول القـرن الأفـريقي، والـدول المـطلة على البحر الأحمر، والدول المـطلة على البحـر الأبيض المتـوسط، والـدول المستفيدة من البحـر العـربي، فهنـاك مشـاكـل معينـة: كدفن النفايات النووية أو السامة أو الفاسدة، في ساحل البحر، أو في إحدى صحارى الدول المجاورة.

٢ ـ ونظراً لتفاوت الدول والشعوب العربية في الدخل والثروة، فهناك دول غنية بفعـل امتـلاكهـا للثروة النفطية، وهناك دول فقيرة، ويقتضي الانتماء إلى أمة واحدة أن تتكافل هذه الدول في حقلي التنمية والبيئة، لأن أنظمة الحكم هي سلطات سياسية تدير ثروة الأمة الواحدة، ولا ينبغي لها

أن تطيل من قرار احتكار هذه الثروة لتنمية الحدود الجغرافية والسكانية بحكمها القطري وهي حدود استعمارية وليست حدوداً للأمة . .

٣ ـ ينبغي أن يعمق في المتعلمين، وفئات المجتمع صفوة وجماهير اتجاه التوحد، الذي رجع إليه معظم ما تعانيه الأمة من تحديات سياسية، واقتصادية، وأمنية، وتربوية، عبر ترجمة آليات توحد تربوية، واقتصادية، وعلمية، وإعلامية.

١٩ ـ مفهوم التنوع البيولوجي:

ـ قال تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم . .**﴾ «الأنعام: ٣٨».

ـ قال تعالى: ﴿**اهبط بسلام منا وبركاتٍ عليك وعلى أمم ممن معك**﴾ «هود: ٤٨».

وكأن القرآن الكريم يقول لنا: على الإنسان أن لا يغلق اهتمامه على نفسه فقط، فهناك حق للأمم الأخرى أن تعيش، وتبقى إلى جانب أمته، فقد أفاض الله بركته على جميع أمم سفينة سيدنا نوح عليه السلام وأنجاها الله إلى جانب أمة البشر، لتتعايش تلك الأمم مع أمة الإنسان، لا يبغي عليها الإنسان ولا يصادر حياتها، واستقرارها، واستمرارية تنوعها، وما يفعله الإنسان اليوم من جراء تلويثه للهواء بثاني أكسيد الكربون (صناعاته)، وبقطعه للغابات الاستوائية وإحراقها، وبتلويثه لمجاري المياه، والأنهار، والبحار، وبتبسيطه لنظام البيئة، إنما يحد من ذلك التنوع البيولوجي أو يقضي عليه وهو تنوع يريد الله له الحفظ والتوازن، والاستقرار، والدوام، وفي ذلك حفظ للحياة الإنسانية.

ملخص البحث ونتائجه

مقدمة:

تعد قضايا ومشكلات البيئة من تحديات القرن الحادي والعشرين على شتى المستويات المحلية والإقليمية والدولية. وقد حاول المجتمع الدولي تبني معالجات عديدة لتلك المشكلات من زوايا تشريعية، وعلمية ـ تكنولوجية، ومالية، ولكنها قد عجزت عن تحقيق آثارها بسبب الافتقار إلى المعالجة التربوية المرتبطة أشد ارتباط بتلك المعالجات، وإذا كانت الآلية التربوية قد قطعت شوطاً لا بأس به على صعيد تحديد أهداف التربية البيئية، وتحديد مفردات المضمون المعرفي للتربية البيئية، فإنّ محاولة تنظير الإطار المفهومي القيمي الذي يشكل إطاراً لتلك المعالجات ستدفع بآليات التنشئة البيئية قدماً من خلال توظيف عدد من المفاهيم والقيم الكلية المستنبطة من أصول ثقافتنا؛ لتشكيل السلوك الاجتماعي إزاء الأنظمة البيئية، وإزاء المشكلات الناجمة عن اختلال توازنها.

* ومن ثم فقد حاولت هذه الدراسة الإجابة على هذا السؤال: ما المفاهيم والقيم الإسلامية الكلية الرئيسة التي تشكل إطاراً وظيفياً ملائماً للتنشئة البيئية؟.

* وكان من المناسب قبل محاولة استنباط المفاهيم والقيم ـ سعياً وراء

الإجابة على سؤال الدراسة ـ التقليب لقضايا ومشكلات البيئة، للتعرف على الأسباب والوقائع التي تستدعي الاستشراف لمفهوم ما من المفاهيم الكلية المراد استنباطها حتى لا تكون المعالجة المفهومية ـ القيمية مجرد مفاهيم فوقية لا صلة لها بالواقع البيئي، وهذا ما حدا بالباحث إلى أن يتناول هذه المسائل، قبل الشروع في عملية التنظير المفهومية: تعريف البيئة ـ علاقة الإنسان بالبيئة ـ مشكلات البيئة ـ تصنيف مشكلات البيئة ـ المسؤولية تجاه مشكلات البيئة ـ شروط الإصلاح البيئي.

* وقد توصل الباحث إلى اشتقاق عدد من المفاهيم والقيم الكلية الأساسية، المرتبطة بالأخلاقية المنشودة في السلوك البيئي، وهي مفاهيم يمكن أن تخلق الدافعية الذاتية القوية لدى المتفاعلين مع مضامينها البيئية، لأنها موصولة باللاشعور الثقافي والتاريخي للأمة، وهذه هي أهم المفاهيم والقيم التي تمخضت عن هذه الدراسة:

١ ـ المفهوم التنموي للخلافة، المتمثل في إدارة موارد الأرض.

٢ ـ مفهوم التعمير للأرض، وتتمثل مخرجاته في اشطة بيئية عديدة كمكافحة التصحر، واستزراع الأحزمة الخضراء في المدن، وزراعة النباتات التي تمتص الغازات الملوثة للهواء، وإقامة الحدائق والمتنزهات، وصيانتها، والمحافظة على الغابات الاستوائية، وتوسيع الرقعة الزراعية، وتنمية الاتجاه العلمي ـ التكنولوجي لغرض خلق تقنيات جديدة للحصول على بدائل للموارد غير المتجددة، وبدائل للطاقات الملوثة للبيئة.

٣ ـ **مفهوم التوازن**: الذي يؤدي توظيفه إلى إعادة توازن الأنظمة البيئية واستقرارها، وهو ما يؤدي إلى خفض استعمال الموارد ومكافحة أسباب تلوث الماء، والهواء لإعادة دورتيهما الحافظتين للحياة، وتعزيز التوازن النوعي للأنظمة البيئية.

٤ ـ **مفهوم تمييز الإنسان غير المفسد للبيئة**: وهو مفهوم يرتبط بمفهوم التعمير، في إطار العبودية لله، وهي عبودية تزيل سلوك الاستكبار والإهلاك للحرث والنسل، على النحو الذي يعيد سلوك التعايش مع البيئة، مكان علاقة العداء بين الإنسان المكلف بعمارة الأرض والبيئة المسخرة له تسخير ألفة، ومحبة، ورعاية، وانتفاع متبادل.

٥ ـ **مفهوم وحدة الأصل الإنساني**: ووظيفته ترسيخ التعاون الدولي، والمسؤولية الدولية إزاء قضايا مشكلات البيئة.

٦ ـ **مفهوم التعارف الإنساني**: ووظيفته أن تتكافل الأسرة الدولية في التصدي لمشكلات البيئة وهي على اتصال وثيق بالتنمية المستديمة، على النحو الذي يتيح لدول العالم النامي فرص التقدم الصناعي، وتلبية احتياجات الناس إلى الحاجات الضرورية، ويمكنها من المعالجة لمشكلات البيئة، في ظل الإسهام الفاعل للدول الصناعية في معالجة مشكلة الفقر، ومشكلة المديونية لدى دول وشعوب الجنوب.

٧ ـ **مفهوم التسخير للنعم**: وهو مفهوم مركب من مفهومين: «مفهوم التسخير» و«مفهوم النعمة»، وهو مفهوم يدفع الإنسان إلى تطوير قدراته العلمية ومهاراته التكنولوجية للانتفاع بما سخر الله من موارد وطاقات، وهو

في انتفاعه هذا يتعامل مع مكونات الكون البيئية المسخرة باعتبارها نعماً تتطلب منه الرعاية، والحفظ، والاحترام، والتنمية، وتستلزم منه التوقف عن الإسراف في استنزاف تلك الموارد، أو التدخل المخل بتوازنات الأنظمة الكونية، إذ هي والإنسان أجزاء يخدم بعضها بعضاً.

٨ ـ **مفهوم اتصال الكون وتناسق سننه**: وهو اتصال يؤكد عليه القرآن الكريم من خلال آيات الأصل المشترك للدواب (من ماء)، والأصل الأرضي للإنسان، وتسبيح كل ما في الكون لخالق الكون، ووظيفة هذا المفهوم هو خلق التناسق والتناغم في حركة الإنسان ونشاطه مع الأنظمة البيئية الكونية، فالإنسان ليس في معزل عن الطبيعة وإنما هو جزء من عناصر غذاء الأرض، وهو ما يكفل إعادة توازنات تلك الأنظمة البيئية.

٩ ـ **مفهوم التوسط أو الاعتدال**: ووظيفة هذا المفهوم الحد من اتجاهات الإسراف والتبذير، وعلاج الأخلاقية التخومية ـ الأنانية على مستوى الأفراد، والدول، وتغيير النمط النهم في الإنتاج والاستهلاك، والتوسط في استغلال الموارد، وفي الربحية الصناعية، وفي النشاط الزراعي غير المنهك للتربة، وعندما يخفض الاستهلاك للموارد ويخف ضغط الربحية، وينحسر سلطان الأنانية، يتمكن المجتمع من الحد من التلوث ومن تدمير الموارد، ومن خلق فرص التكافل بين دول العالم، بما يحقق النهوض بالتنمية مع مكافحة مشكلات البيئة في آن واحد.

١٠ ـ **مفهوم المسؤولية المشتركة بين الرجال والنساء**: وهذا المفهوم القرآني، يؤكد على الدور الكبير للمرأة إزاء التنشئة البيئية، فهي التي تتمكن منذ فترة مبكرة في مرحلة نمو الطفل من تعويده على القيم

الصحية، والجمالية، والاقتصادية والاجتماعية التي تحول دون الإضرار بالبيئة، والتي تبدأ في رحم الأم وتمتد حتى تصل إلى الأرض كلها.

١١ ـ **مفهوم التقدير**: ووظيفته احترام الإنسان للقوانين الايكولوجية، وإصلاح الخلل في توزيع الأقوات المقدرة، وعلاج القصور في السياسات والاستراتيجيات العلمية والتكنولوجية المتصلة بالحاجات والأقوات المقدرة، وتعديل الإنتاج والاستهلاك الجشع.

١٢ ـ **مفاهيم المصلحة والضرر**: ووظيفته تبني اتجاهات المسؤولية الاجتماعية والاتجاه العلمي، والاتجاه العملي، والتوازن بين مصلحتي الفرد والمجتمع وترسيخ الإيمان بحقوق الإنسان كفرد وشعب ودولة إزاء التمتع بالمعيشة والصحة الملائمة، وما يترتب على ذلك من مسؤولية إزاء الأضرار البيئية التي تحدث للغير سواء في صحته أو حياته أو اقتصادياته داخل الدولة وخارجها.

١٣ ـ **مفهوم العدالة**: ووظيفته الفهم، والممارسة لقيم التوزيع العادلة، وقيم التقارب في الدخول والثروات، بين فئات المجتمع وبين دول العالم وما يستلزمه ذلك من تغيرات في المنظومة الاقتصادية السياسية والاجتماعية المتصلة بالانتاج، والتوزيع والمشاركة في القرار، وإحداث تغيرات في نمط التجارة الدولية غير المتكافئ، وفي نمط تقسيم العمل المجحف بشعوب الدول النامية.

١٤ ـ **مفهوم الوقاية**: ووظيفته ترسيخ النهج الوقائي إزاء مشكلات البيئة، وحق الجماهير في الحصول على المعلومات والحقائق البيئية التي فقدتها الاستراتيجيات الإعلامية، والتربوية، وإلا فإن الجماهير ستترك

دون خلق ووعي بيئي قد يؤديان إلى تجنب وقوع الحدث البيئي الضار أو الحد من آثاره إذا وقع في المستقبل.

١٥ ـ **مفاهيم التنشئة الجسمية والصحية**: كمفهوم اختيار الزوجين، ومفهوم الاغتراب في الاختيار، ومفهوم الحفاظ على حياة الطفل، ومفهوم المباعدة بين الولادات، ومفهوم الرضاعة الفطرية، ومفهوم الرخصة للحامل والمرضع، ومفهوم التغذية المتكاملة المتوازنة، ومفهوم النظافة الشخصية، ومفهوم نظافة البيوت، ومفهوم نظافة الطعام والآنية، وهي مفاهيم تعزز التنشئة البيئية التي تكفل تمتع الفرد بقوة الجسم، والصحة، والنظافة، والوقاية من أسباب التلوث.

١٦ ـ **مفاهيم صحة البيئة**: كمفهوم الاقتصاد في استخدام الماء، ومفهوم سلامة الماء الراكد، ومفهوم الوقاية من النجاسة، ومفهوم الوقاية من الملاعن الثلاثة، ومفهوم نظافة وسلامة الطرقات وغيرها.

١٧ ـ **المفاهيم الجمالية**: وتشمل التذوق الجمالي الإدراكي، ومفهوم التمييز الجمالي للطعوم، ومفهوم التمييز الجمالي للألوان، ومفهوم التمييز الجمالي للحركات، والمفهوم المظهري الجمالي (الزينة) وجماليات النظافة والنظام والحياة العامة والجماليات القيمية والمعنوية.

١٨ ـ **مفهوم الأمة**: وهو مفهوم يجسد بُعد التجمع، والتوحد، والجماعة المتجانسة في خصائصها. ويمكن توظيف هذا المفهوم لخلق آلية جماعية في التصدي لحل مشكلات البيئة لدى «دول القرن الأفريقي» أو لدى «دول الخليج العربي» أو لدى «دول البحر الأبيض المتوسط» أو

لدى «دول الجزيرة العربية»، وهي آلية تنشأ الحاجة إليها لمعالجة مشكلات الأضرار البيئية المتصلة بدفن النفايات النووية أو الملوثة أو مشكلات الصناعات النفطية وغيرها.

ويمكن توظيفه أيضاً في آلية التضامن، والتكافل، والتوحد في حقلي التنمية والبيئة نظراً لوجود الثروة النفطية لدى بعض الدول العربية، وشيوع الفقر وشحة الموارد لدى دول عربية أخرى، بينما الجميع ينتمون إلى أمة واحدة.

١٩ ـ **مفهوم التنوع البيولوجي**: وهو مفهوم تناوله القرآن الكريم من خلال إعطائه صفة الأمة لكل من الدواب، والطيور، إلى جانب بني آدم، وقد جَسَّدت الآية (٤٨) من سورة (هود) هذا البعد التنوعي، الذي أراد الله له البقاء، والحفظ، والتعايش: ﴿**اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك**﴾، وهو مفهوم يفيد تشكيل سلوك الإنسان إزاء المحيط الحيوي، فقد أدى قطع الغابات الاستوائية أو حرقها، وتلويث الماء، والهواء والتربة إلى الحد من ذلك التنوع أو القضاء عليه.

المراجع

١ ـ الأزهر الشريف؛ لجنة من علماء الأزهر الشريف وممثل منظمة اليونسيف بالقاهرة: المنهج الإسلامي في رعاية الطفولة ـ ط٣ ـ مطابع الشروق بالقاهرة ـ ١٩٩٠.

٢ ـ رشيد الحمد، د. محمد سعيد حباريني: البيئة ومشكلاتها ـ ط٢ ـ عالم المعرفة (٢٢) ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ ١٩٨٤م.

٣ ـ سيد قطب: في ظلال القرآن ـ ط١٥ ـ المجلد الأول ـ الجزء الأول، المجلد الخامس عشر ـ الجزء الثاني عشر ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ١٩٨٨م.

٤ ـ سمير عوض: التنمية في آي القرآن الكريم ـ مجلة العالم الإسلامي ـ رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة ـ العدد ١٢٨٠ ـ السنة ٢٨ ـ (١٢ ـ ١٨/١٠/١٩٩٢م).

٥ ـ د. علي خليل مصطفى أبو العينين: القيم الإسلامية والتربية ـ ط١ ـ مكتبة إبراهيم حلبي ـ المدينة المنورة ـ ١٩٨٨م.

٦ ـ محمد أبو زهرة: تنظيم الإسلام للمجتمع ـ دار الفكر العربي ـ

القاهرة ـ ١٩٦٥م.

٧ ـ محمد الغزالي : سر تأخر العرب والمسلمين ـ ط١ ـ دار الصحوة ـ القاهرة ـ ١٩٨٥م.

٨ ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام : السياسة الدولية ـ العدد ١١٠ ـ السنة ٢٨ ـ أكتوبر ـ القاهرة ـ ١٩٩٢م.

٩ ـ مصطفى عبدالعزيز: الملوثات والنبات ـ الجمعية النباتية المصرية ـ أبريل ١٩٨١.

١٠ ـ مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ـ كتاب مرجعي في التربية السكانية ـ الجزء الخامس: السكان والبيئة في الوطن العربي ـ ط١ ـ الشركة الجديدة للطباعة والتجليد ـ عمان ـ الأردن ـ ١٩٩٠م.

١١ ـ منير حميد البياتي ، قحطان عبدالرحمن الدوري : المدخل إلى الدين الإسلامي ـ ط١ ـ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٩٧٦م.